بسم الله الرحمن الرحيم

موضوع الخطبة: حُبّ الله تعالى وثمراته

ألقاها سماحة الدكتور عبد الحميد عشاق حفظه الله ورعاه

قال الله تقدست أسماؤه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(1).

شواهد الكتاب والسنة ناطقة بأن الله جل وعلا يحب خواص عباده، وأن ذلك مما ينالونه بمخالفتهم لأهوائهم في سبيل مرضاته، والوقوف على باب خدمته. وقد أثبتت الآية حب الإنسان لربه محبة خاصة؛ محبة لا تكون إلا لله لأنه الإله الحق بحق، الأحد الغني بذاته عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير بذاته إليه. وكون العبد محبوبا لله أعلى وأسمى من كونه محبا لله، فليس الشأن أن تحبه، ولكن الشأن أن يحبك: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(2)، فجعل سبحانه متابعة نبيه ﷺ سببا لحبه إياهم.. وهذا واحد من كثير من الأسباب والخلال والصفات التي إذا تحلى بها الإنسان جعلته محظوظا بنعمة الفوز بالحب الإلهي. وهناك صفات وخلال أخرى:

أولاها: قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(3).

والثانية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(4).

والثالثة: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(5).

---

(1) البقرة: 165.
(2) آل عمران: 31.
(3) البقرة: 195.
(4) البقرة: 222.
(5) آل عمران: 76.

والرابعة: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[6].

والخامسة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[7].

والسادسة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[8].

والسابعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[9].

والثامنة:﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[10].

فاتباع النبي ﷺ هو الباب الأعظم للدخول على محبة الله تعالى، ولولا محبته ﷺ ما صلحت محبة أحد، وكان الجميع أدعياء، وكيف يصح الإيمان والاقتداء والاتباع دون الحب، والنبي ﷺ يقول: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[11]. فحقيقة المحبة هي الموافقة أو الطاعة، حتى قال بعضهم: «حب الله تعالى يعني حب طاعته، وأعظم معاني الطاعة هنا موافقته بالقلب؛ فإن المحب دائما مع محبوبه». وقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس ﭬ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قَالَ: وَيْلَكَ! وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، قَالَ: إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قال أنس: «فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك»[12].

---

(6) آل عمران: 146.
(7) آل عمران: 159.
(8) المائدة: 42.
(9) الصف: 4.
(10) آل عمران: 31.
(11) صحيح البخاري (مع الفتح): (10/1) ح14.
(12) صحيح البخاري (مع الفتح): (48/8) ح6167، وصحيح مسلم: البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، ح2639.

ومن أعز معاني هذا الوجود أن تحب الله ورسوله، فهذه هي المحبة الحقيقية الكاملة، وما عداها زيف ووهم؛ كان أحدهم يدعو فيقول: «**اللهم ما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذلّ الحجاب**»[13]، وقال أبو زيد: «لو أعطيت الملك على العالمين فلا يساوي ذلك عندي زفرة تخرج من أعماق روحي ساعة الصبح عندما أفكر في شوقي إليه»، وكان أبو سليمان الداراني يقول في مناجاته: «ربي لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبتني ببخلي لأطالبنك بجودك وكرمك، ولئن طالبتني بإساءتي لأطالبنك بإحسانك، ولئن أدخلتني النار لأخبرن أهل النار أني أحبك، فنودي يا أبا سليمان لا ندخلك النار بل ندخلك الجنة فتخبر أهلها بمحبتنا»[14].

واعلم أن المحبة يدعيها كل واحد، **وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى** في أبد الآبدين... محبة الله ورسوله شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وثمارها التي تظهر في القلب واللسان والجوارح هي التي ينبغي أن تلحظ إذا ادعت النفس محبة الله تعالى.

فمن هذه الثمرات والعلامات: معانقة الطاعة ونبذ المخالفة؛ وهي ترك ما يريد المحب لما يريده المحبوب، كما قيل[15]:

أريد وصاله ويريد هجري   فأترك ما أريد لما يريد

وقال ابن المبارك[16]:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

(13) طبقات الصوفية: (ص54) من قول السري السقطي.
(14) شعب الإيمان: (2/348/ح1040) بنحوه.
(15) لطائف الإشارات للقشيري: (1/203).
(16) إحياء علوم الدين: (4/331).

ومن هذه الثمرات والعلامات: أن يكون مشفقا على عباد الله، رحيما بهم، حريصا على منفعتهم وإسعادهم، ومواساتهم، وجبر قلوبهم.

ومن علاماتها: أن يكون في حب الله تعالى خائفا متضائلا تحت العظمة والهيبة، فيخاف أن يعرض عنه مولاه، أو يحجبه عن معرفته، أو يبعده عن رحمته، وقد جمع يحيى بن معاذ بعض علامات المحبة في هذا المقام قائلا[17]:

لاتُخـــدَعَنَّ فـَلِلمُحِبِّ دَلائِـلُ ولَدَيهِ مِن نَجوَى الحَبيبِ رَسائِلُ

مِنـــها تَنَـــعُّمُهُ بِما يُبلـى بِـهِ وسُرورُهُ في كُلِّ ما هُوَ فاعِلُ

فَالمَنعُ مِـــنهُ عَطِـــيَّةٌ مَعروفَـةٌ وَالفَقرُ إكرامٌ ولُطـــفٌ عـــاجِلٌ

ومِنَ الدَّلائِلِ أن يُرى مُتَحـــَفِّظاً مُتَقَشِّفاً في كُلِّ ما هـُوَ نـــازِلُ

ومن العلامات أن تحب كل ما يتعلق بالمحبوب وينتسب إليه؛ فلذلك قال سهل ابن عبد الله التستري: «**علامة حب الله حبّ القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة**»[18].

ومن علامات محبة الله ألا يأنس بأحد سواه، فالمحب لا يسكن ولا يطمئن إلا بذكر محبوبه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[19].

ومن علامات المحبة ألا يستثقل الطاعة؛ فيفتر بدنه ولا يفتر قلبه.

ومن تمام التحلّي بهذه الخلال والصفات أن يتخلى المرء عما يخالفها ويضادّها، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا

---

(17) قوت القلوب: (103/2).
(18) قوت القلوب: (432/1).
(19) البقرة: 165.

﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾[20].

وسرّ قبح الشرك الذي لا يغفره الله تعالى كونه نداداً ومزاحمة ومشاركةً في محبته، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾[21]، وقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[22]. وهذا تمثيل لحال المشرك في توزّع عقله بين آلهة كثيرين؛ فهو في حيرة وشك من رضى بعضهم عنه وغضب بعض، وفي تردّد عبادته إن أرضى بها أحدَ آلهته، لعله يُغضب بها ضده، فرغباتهم مختلفة... ويبقى هو ضائعاً لا يدري على أيهم يعتمد، فوهمه شَعاع، وقلبه أوزاع، كحال مملوك اشترك فيه مالكون لا يخلون من أن يكون بينهم اختلاف وتنازع، فهم يتعاوَرونه في مهن شتّى، ويتدافعُونه في حَوائجهم، فهو حيران في إرضائهم، تَعبان في أداء حقوقهم، لا يستقل لحظة، ولا يتمكن من استراحة.

ويقابله **تمثيل حال المسلم الموحّد** يقوم بما كلّفه ربه عارفاً بمرضاته، مؤملاً رضاه وجزاءه، مستقرَّ البال، بحال **العبد المملوك الخالص لمالك واحد، قد عرف مراد مولاه، وعلم ما أوجبه عليه، فَفهمُه واحدٌ وقلبُه مجتمعٌ»**[23].

فهذه لمحة عن حب الله تعالى، دلائله وثمراته.

---

(20) البقرة: 165.
(21) الحج: 31.
(22) الزمر: 29.
(23) انظر تفسير محمد الطاهر ابن عاشور، سورة الزمر، الآية: 29.